

ومن مكانته هذه بين قومه استطاع أن يتصل ببلاط إمارتين كبيرتين هما إمارة الحيرة وإمارة الغساسنة ، وهذا ثابت أيضا في ديوانه ففيه مدائح كثيرة لأمرء الحيرة لاسيما « النعمان بن المنذر » ، وفيه أيضا مدائح أخرى لأمرء غسان . . أما كيف كان ينتقل الشاعر من الحيرة إلى غسان ، ثم يعود ثانية إلى الحيرة معتنرا للنعمان ، فهذا ما يكتنفه بعض الغموض ، وتتعدد فيه الروايات والآراء التي لا يسعنا هنا إلا إيرادها كما هي ثم محاولة الخلوص إلى أقربها إلى المنطق بالرجوع إلى شعر النابغة نفسه .

هناك حقيقة ثابتة اتفقت عليها جميع الروايات وأيدها النابغة بشعره ، وهي أن النابغة كان ذا خطوة كبيرة عند النعمان بن المنذر ، ثم حدث بينهما سوء تفاهم أو وشاية ، فهرب النابغة إلى الغساسنة ، أما ماهية سوء التفاهم أو الوشاية فهذا ما اختلفت فيه الروايات .

الرواية الأولى تزعم أن النابغة رأى زوجة النعمان المتجردة يوما وغشيها ، فسقط نصيفها ، واستترت بيدها وذراعها فكادت ذراعها تستر وجهها لعلتها وغلظها . وكان النابغة جالسا ذات يوم عند النعمان مع المنخل بن عبيد بن عامر اليشكري ، وكان النعمان دميما أبرش قبيح المنظر ، وكان المنخل أجمل العرب وكان يرمى بالمتجردة ويتحدث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل . فقال النعمان للنابغة يا أبا امامة صف المتجردة في شعرك ، فقال قصيدته التي مطلعها « أمن آل مية . . . » ووصف فيها أجزاء جسمها وصفا دقيقا أثار غيرة المنخل ، فقال للنعمان ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من جربه ، فوقر ذلك في نفس النعمان وبلغ النابغة فخافه وهرب إلى غسان .